

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلية العلوم الإسلامية- قسم العقيدة والفكر الإسلامي.

محاضرات في علم الكلام المعاصر. المرحلة الرابعة

جمع وترتيب: د. محمد خليل ابراهيم.

المحاضرة التاسعة: أهمية علم الكلام في العصر الحديث وصلته بالعلوم الأخرى

لنا ان نتسأل عن أهمية دراسة علم الكلام في العصر الحديث ... وهل لا يزال له دور من حيث إنه علم يهدف الى بيان العقيدة والدفاع عنها بالأدلة العقلية ضد شبهات الخصوم والمخالفين؟ وهل يقف دوره على الزمن الذي كانت فيه هذه الرق وقيامه بالرد عليها... أم يتعداه الى زماننا الحاضر والمستقبل واذا كان هناك ضرورة لدراسة علم الكلام في العصر الحديث فعلى أي نحو يجب ان تكون عليه الدراسة؟

يمكن القول ان الفكر الانساني عموما سلسلة متصلة الحلقات يتصل فيها الماض بالحاضر بالمستقبل... وتزداد هذه الصلة وثوقا اذا كان موضوع ذلك الفكر يتصل بالعقيدة، وعلم الكلام يمثل تراثا فكريا دينيا فلا غنى عن دراسة ذلك الجانب التاريخي لنشأة علم العقيدة لكن يجب ان لا نقتصر على هذا الجانب بل يجب ان نؤسس لعلم كلام جديد يفي بحاجة العصر ومتفقا مع معطياته.

فعلى على سبيل المثال مسألة أدلة اثبات وجود الله في علم الكلام القديم يعتمد الادلة العقلية على نمط الاستدلال الفلسفي المنطقي ... أما طبيعة الادلة في عصرنا فهي تقوم على الواقع والتجربة والعلم من خلال استجلاء حقائق الدين بالأدلة التي تطمئن الذهن الجديد والعقلية الجديدة التي تعتمد على الحقائق .

وكذلك مسألة الرد على الملحدين فإننا نجد سمة الالحاد في هذا العصر هي العلم، فهو الحاد باسم العلم فعلى علم الكلام ان يخوض دائرة العلم المعاصر وذلك ليستوعب سلاح الخصم ويتفوق عليه.

وهذا يثبت الحاجة الى دراسة علم الكلام المعاصر لبيان الفهم الصحيح للعقيدة واصولها بصورة جديدة تواكب تطور العصر.

صلته بالعلوم الأخرى.

لعلم الكلام صلة وثيقة بالعلوم التي نشأت في البيئة الإسلامية وقت ظهوره أو التي سبقت ظهوره، وعندما نقرأ في كتب الطبقات والتراجم التي صنفنا لترجمة حياة

المتكلمين وكتبهم، فإننا نجد عبارة تتكرر كثيراً عند التعرض لترجمة المتكلم أنه قد حاز على العلوم المليية والحكمية، وهذه العبارة تشير إلى ثقافة المتكلم الواسعة بحيث يلم بالعلوم المليية - أي نشأت تبعا للملة الإسلامية - **كعلوم القرآن والحديث والتفسير والفقه** وأصول اللغة، وأيضا بالعلوم الحكمية وهي العلوم العقلية من **منطق وفلسفة**، وهذا يعني ارتباط هذه العلوم بالمباحث الكلامية التي هي موضوع علم الكلام، وأنه لأهمية تلك الصلة بين علم الكلام والعلوم الأخرى كان لا بد للمتكلم من أن يحصل تلك العلوم. ومن ناحية أخرى، إذا كان علم الكلام يقوم على التوفيق بين العقل والنقل فلا بد من معرفة المتكلم بالعلوم العقلية والعلوم النقلية، ولا بد من صلة بين هذه العلوم وعلم الكلام. وعلم الكلام هو الأساس الذي تقوم عليه **العلوم الشرعية**، إذ أنه ما لم يثبت وجود **إله خالق** قادر عليم أنزل رسله بالتكليف - وهذه موضوعات علم الكلام - لم تكن العلوم الشرعية - من فقه وحديث وتفسير - سارية وقائمة لأنها مبنية على تلك الموضوعات التي يبحثها علم الكلام، فهو أساس تلك العلوم وتستمد منه أصولها وتستعين به في مباحثها وتأخذ منه .

أسباب تداخل علم الكلام مع العلوم الأخرى :

- ١ - شمولية الإسلام و علومه: إن طبيعة الإسلام نفسه و العلوم المرتبطة به تأبى التمييز بين ما هو عقيدي و ما هو عملي، فالإسلام إيمان و عمل و عقيدة و شريعة دين و دنيا.
 - ٢ - موسوعية علماء الإسلام: عدد كبير من الأقطاب و الأفذاذ في تاريخ العلوم الإسلامية، استطاعوا أن يكونوا موسوعيين في مداركهم العلمية، بحيث يتفوقون في عدة مجالات و علوم، خصوصا في مجال العقيدة و ما يرتبط بها و الفقه و ما يرتبط به، و إذا عدنا إلى تراجم معظم الأفذاذ نجد هذه العبارة تتكرر عند الحديث عنهم؛ أي تراجمهم الفقيه الأصولي المتكلم هذين السببين يدلان على أن العلوم الإسلامية حدودها مفتوحة. أما فيما يتعلق بتقاطع علم من العلوم الإسلامية بالعلوم الإنسانية خاصة إذا أخذنا علم الكلام كنموذج نجد ذلك أمرا طبيعيا، و ظاهرة قديمة عرف خلالها علم الكلام تأثرا و تفاعلا بين العلوم التي ظهرت في ذلك العصر و مثال على ذلك التداخل الذي عرفه علم الكلام مع الفلسفة.
- وسوف نحصر الحديث عن علاقة علم الكلام بالفلسفة والتصوف و اصول الفقه لنرى ما وجه الاتفاق والاختلاف بين علم الكلام وهذه العلوم الأخرى.
- #### ١ . علم الكلام والفلسفة.

يأخذ كل من المتكلم والفيلسوف بالحس والمشاهدة... وينطلق منه الى العقل فكلاهما يعتد بالحس وبالعقل .. لكنهما يختلفان في نقطة البداية فالمتكلم يبدأ من عقيدة يؤمن بها .. ويقوم بالاستدلال على ما أمن به بالعقل و ايراد الادلة العقلية على صحة ما يؤمن به من قلبه .. أما الفيلسوف فانه يبدأ بحثه دون عقيدة أو رأي سابق يقوم بإثباته والدفاع عنه بل يبدأ بالعقل وينتهي بالعقل.

والفرق الآخر هو ان المتكلمين يستعملون القياس الجدلي اما الفلاسفة يستعملون القياس البرهاني.

وكذلك من حيث التأثير بالثقافات الاجنبية خاصة بالفلسفة اليونانية ، فنجد علم كلام قليل التأثير نجد علم الفلسفة تتأثر بشكل كبير.

وهناك علاقة بين علم الكلام و الفلسفة الحديثة : حيث يرتبط الكلام الجديد بالعلوم الأخرى من جهتين: فهو من جهة يأخذ الإشكالات الجديدة حول الدين، و من جهة ثانية يستفيد في بعض المواقع من أصولها و مناهجها في الرد على هذه الشبهات. و يوجد ارتباط وثيق بين الكلام الجديد و الفلسفات الحديثة و خصوصا الفلسفات المضافة مثل: فلسفة الأخلاق و فلسفة العلم، فلسفة السياسة، فلسفة الحقوق، فلسفة اللغة ، ويعود سبب هذا الارتباط إلى الشبهات الأساسية الموجهة في ذيل هذه الفلسفات إلى كل من الأخلاق الدينية، و مباحث علم المعرفة الدينية، و السياسية الدينية، و الحقوق الدينية ووجود معان للقضايا الدينية، كما ضيقت إلى حد كبير الساحة على الوحي و النصوص الدينية.

٢. علاقة علم الكلام بالتصوف.

أن طبيعة عمل التصوف عملية، بينما نجد طبيعة علم الكلام نظرية فإذا كان العقل والمنطق يكفيان في إثبات كثير من الحقائق في عالم الشهادة، فثمة مواضع وحقائق لا يكفي فيها المنطق، ولا يقدر عليها العقل وحده، وهو ما يجعلنا في حاجة دائمة وماسة إلى القلب والمشاعر في إدراك وإثبات ما يعجز عنه العقل، مما يجعل للتصوف اليد العليا في الوصول إلى أدلة قاطعة عقلية وقلبية، بأساليب الإلهام ، والتجليات المنضبطة بحدود القرآن والسنة.

وليس ثمة تعارض بين التصوف و علم الكلام؛ بل تكامل وترابط، فعلماء الكلام- كما أسلفنا- ليسوا فلاسفة في اعتماد العقل وحده، بل يمزجون العقل بالنص، والشريعة بالحقيقة.

٣. علم الكلام واصول الفقه.

إن أول من أدخل علم الكلام في أصول الفقه هو أبو حامد الغزالي، عندما ألف كتابه المستصفى، وبعض المعتزلة ك أبي الحسين البصري وغيره.

ثم تتابع أهل الكلام فألفوا في أصول الفقه، وجعلوا من مصادر علم أصول الفقه علم الكلام، وبحثوا كثيراً من المسائل الكلامية في ظل أصول الفقه، والحقيقة أنهم أضروا بعلم أصول الفقه عندما بحثوا مسائله، وأدخلوا معها علم الكلام؛ لأنهم يبحثون في مسائل التحسين والتقبيح العقليين مثلاً، ويبحثون في مسائل الأمر مثلاً، هل هو باللفظ بحيث يكون له صيغ، أو بالمعنى فلا يكون له صيغ، ونحو هذا، وكل هذا من المسائل التي لا يستفيد منها طالب الفقه، بحيث إنه يؤهله للاجتهد والاستنباط، فهي مسائل

جدلية؛ ولهذا يختمون كثيراً من المسائل بقولهم : والخلاف في هذه المسألة لفظي، مثل الخلاف بين المندوب والمستحب.
ويمكن ان كل من علم الكلام واصول الفقه يتناولان الاحكام الكلية العامة ولا يعنيان بالمسائل الجزئية الفرعية، وكذلك من حيث استعمال الادلة السمعية والعقلية.
لكن يختلفان في مسألة الاخبار التي وردت في السنة فعلماء الكلام لا يأخذون الا بالأخبار المتواترة اما علماء الاصول فانهم يأخذون بالاحاديث المتواترة واحاديث الاحاد.